الفصل الخامس

هديه ﷺ في الممازحة

١- المصطفى ﷺ يمازح الرجال .

٢- المصطفى ﷺ يمازح الأعراب .

٣- المصطفى ﷺ يمازح النساء .

٤- المصطفى ﷺ يمازح الأطفال .

هديه ﷺ في الممازحة

رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة ، وهديه ﷺ خير هدي ، وفعله ﷺ خير فعل ، وهنا يأتي السؤال كيف كان هديه ﷺ في الضحك ؟

هل كان يضاحك ويمازح ؟

هل كان يداعب ويلاعب ؟

هل كان يبتسم ويهش ويبش ؟

أم كثرة الأعباء ، وتعدد الهموم ، وتزاحم المشاغل ؛ جعلته يعزف عن الضحك والممازحة ، واللعب والملاعبة ؟ !!

إن من أروع ما عُرف به النبي ﷺ توسطه في كل شيء ، وإعطاؤه كل ذي حق حقه ، وتناوله كل موقف بما يتناسب معه ، انظر إليه ﷺ حين مات ولده إبراهيم بكى والحديث كما في الصحيح عن أنس قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف الفين [1]، وكان ظئراً [2] لإبراهيم عليه السلام ، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم عليه السلام فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[3].

إنه ﷺ يبكي لأن الموقف يستحق البكاء ، وقد ضحك أحد العارفين يوماً حين مات ولده فلما قيل له : أتضحك في هذه الحالة؟ قال : إن الله تعالى قضى بقضاء ،

---

(١) سيف الفين : هو البراء بن أوس .

(٢) الظئر : هو الأب من الرضاعة ، ويطلق على المرضعة .

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣) .

فأحببت أن أرضى بقضائه . يقول الإمام ابن القيم معقباً على هذه الحادثة : فأشكل هذا على جماعة من أهل العلم فقالوا : كيف يبكي رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم ، وهو أرضى الخلق عن الله ، ويبلغ الرضى بهذا العارف إلى أن يضحك ؟

يقول ابن القيم : فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : هدي نبينا ﷺ كان أكمل من هدي هذا العارف ، فإنه أعطى العبودية حقها فاتسع قلبه للرضى عن الله لرحمته الولد ، والرقة عليه ، فحمد الله ورضي عنه في قضائه ، وبكى رحمة ورأفة ، فحملته الرأفة على البكاء وعبوديته لله ومحبته له على الرضى والحمد ، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين ولم يتسع باطنه لشهودهما ، والقيام بهما فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرأفة[1].

إن هذا الموقف لا يستحق من الرسول ﷺ إلا البكاء ، ولا يستدعي منه الضحك ، لكنه ﷺ في الأمور التي يتناسب معها الضحك ؛ كان يضحك حتى يعرف ذلك في وجهه وفعله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال ، وإذا قُدّر حيان أحدهما يضحك مما يُضْحَكُ منه ، والآخر لا يضحك قط ؛ كان الأول أكمل من الثاني ، والإنسان حيوان ناطق ضاحك ، وما يميز الإنسان عن البهيمة صفة كمال ، فكما أن النطق صفة كمال ، فكذلك الضحك صفة كمال ، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك[2].

ولله در الشاعر حين قال :

ضحكت لك الأيام يا علم الهدى ... واستبشرت بقدومك الأعوام
وتوقف التاريخ عندك مذعناً ... تملي عليه وصحبك الأقلام
اضحك لأنك جئت بشرى للورى ... في راحتيك السلم والإسلام
اضحك فبعثتك الصعود وفجرها ... ميلاد جيل ما عليه ظلام

---

(١) انظر : زاد المعاد ، مرجع سابق ، ١/٤٨٠ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ابن تيمية ، ٦ / ١٢١ .

إن الفطر السويّة والعقول السليمة تتفق أن على الإنسان أن يروح عن نفسه ، وأن يجعل للترويح ساعة ، كما أن للعبادة ساعة ، وهذا ما ظهر جلياً في حديث حنظلة ﷺ وفيه أن حنظلة الأسيدي ﷺ : وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكر ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلة ، قال سبحان الله ، ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنها رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج ، والأولاد ، والضيعات فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هـذا ، فانطلقت أنا وأبـو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنها رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ؛ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات»[1].

غير أن الناس فهموا هذا الحديث على غير مراده ، وأنزلوه في غير موضعه ، وأخذوا من الحديث ما يوافق أهواءهم ، ويماشي عاداتهم ، فإن ذكرت أحدهم بالله صاح قائلاً : «ساعة وساعة». حتى شاع على ألسنة الناس قول قائلهم : «ساعة لقلبك وساعة لربك».

ولم يكن هذا مقصود النبي ﷺ وإنما كان المقصود : هو الترويح عن النفس ، وعدم إجبارها على العبادة مطلقا .

يقول صاحب كتاب فيض القدير : وإنما كان ﷺ يمزح لأن الناس مأمورون بالتأسي به ، والاقتداء بهديه ، فلو ترك اللطافة والبشاشة ، ولزم العبوس والقطوب ، لأخذ الناس من أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء ،

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠) .

فمزح ليمزحوا،ولا يناقض ذلك خبر «ما أنا من دد[1] ولا الدد مني»[2]؛ فإن الدد: اللهو والباطل ، وهو كان إذا مزح لا يقول إلا حقاً ؛ فمن زعم تناقض الحديثين من الفرق الزائغة فقد افترى .

وقال الماوردي : العاقل يتوخى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما :

أحدهما : إيناس المصاحبين ، والتودد إلى المخالطين ، وهذا يكون بما أنس من جميل القول ، وبسط من مستحسن الفعل ، كما قال حكيم لابنه : يا بني اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ، ويجرئ السفهاء ، والتقصير فيه نقص بالمؤانسين ، وتوحش بالمخالطين .

والثاني : أنه ينبغي من المزاح لما طرأ عليه ، وحدث به من هم ، وقد قيل : لا بد للمصدور أن ينفث ، ومزاح النبي ﷺ لا يخرج عن ذلك ، وأتى رجل علياً كرم الله وجهه فقال : احتلمت بأبي ، قال : أقيموه في الشمس ، واضربوا ظله الحد .

أما مزاح يفضي إلى خلاعة ، أو يفضي إلى سُبّة فهُجنة ومَذَمة[3].

وقال أبو محمد بن قتيبة : ونحن نقول : إن الله عز وجل بعث رسوله ﷺ بالحنيفية السمحة ، ووضع عنه وعن أمته الإصر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل في دينهم ، وجعل ذلك نعمة من نعمه التي عددها وأوجب الشكر عليها ، وليس من أحد فيه غريزة إلا ولها ضد في غيره ، فمن الناس الحليم ومنهم العجول ، ومنهم الجبان ومنهم الشجاع ، ومنهم الوقاح ومنهم الدمث ، ومنهم العبوس ، وفي التوراة أن الله تعالى قال : إني حين خلقت آدم ركبت جسده من رطب ويابس ، وسخن وبارد ، وذلك لأني خلقته من تراب وماء ، ثم جعلت فيه نفساً وروحا ، فيبوسة كل جسد خلقته من التراب ، ورطوبته من قبل الماء ،

---

(١) الدد يعني اللهو واللعب .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٥) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٧) عن أنس ، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٤٣) وفي الأوسط (١/ ١٣٢) عن معاوية ، وقد ذكرهما الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٤٦٧٦ ، ٤٦٧٧) .

(٣) انظر : فيض القدير ، المناوي ، ط المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥٦ هـ ، ١٣/٣ .

وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ، ومن النفس حدته وخفته وشهوته ولهوه ولعبه وضحكه وسفهه وخداعه وعنفه وخرقه ، ومن الروح حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وفهمه وتكرمه وصدقه صبره ؛ أفما ترى أن اللعب واللهو من غرائز الإنسان ، والغرائز لا تملك ، وإن ملكها المرء بمغالبة النفس ، وقمع المتطلع منها لم يلبث إلا يسيراً حتى يرجع إلى الطبع ، وكان يقال : الطبع أملك .

وقال الشاعر :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال آخر :

كل امرئ راجع يوماً لشيمته ... وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ (المعارج:١٩، ٢٠)، وقال تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء:٣٧)، وكان الناس يتأسون برسول الله ﷺ ويقتدون بهديه وشكله لقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾[1] (الأحزاب:٢١)

إن ما نُقل عن النبي ﷺ في مزاحه مع أصحابه دون الخروج عن الآداب أو الأخلاق : أمر غير قليل ، وقد كان هذا الصنيع يلفت أنظار أصحابه فيقولون : يا رسول الله إنك تداعبنا فيقول : « إني لا أقول إلا حقا »[2].

المصطفى ﷺ يمازح الرجال :

لقد كان ﷺ يربى بالضحكة ، ويهذب بالابتسامة ، ويُقوّم بالمزحة ، ويدعو بالطرفة ، فلضحكاته منافع ، ولابتساماته مقاصد ، ومن ممازحته عِبر ، ولطُرَفه حِكَم وعظات .

---

(١) انظر : تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة ، ط دار الجيل بيروت ، ١/ ٢٩٠ .

(٢) رواه أحمد في المسند (٨٤٨١) عن أبي هريرة ، وقال محققو المسند : إسناده قوي ، والترمذي (١٩٩٠) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٢١) .

المصطفى ﷺ يمازح عليا :

فهذا علي ﷺ حين دب خلاف بينه وبين فاطمة ﷺ يصالحه النبي ﷺ بالمزاح ، يحكي لنا سهل بن سعد قال : جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت ، فقال : أين ابن عمك ؟ قالت : كان بيني وبينه شيء فغاضبني ، فخرج فلم يقل (وقت القيلولة) عندي ، فقال رسول الله ﷺ لإنسان : انظر أين هو ؟ فجاء فقال : يا رسول الله هو في المسجد راقد ، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول : قم أبا تراب ، قم أبا تراب»[1]. فكان (أبا تراب) أحب الألفاظ إلى علي ﷺ .

المصطفى ﷺ يمازح أسيدا :

وهذا أسيد بن حضير يمازحه رسول الله ﷺ وهو يُحدِّث القوم ويضحكهم فيطعنه رسول الله ﷺ بأصبعه في خاصرته ، فقال : أوجعتني ، فقال : أصبرني[2]. قال : اصطبر ، قال : إن عليك قميصاً وليس علي قميص . فرفع النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه[3]. قال : إنما أردت هذا يا رسول الله»[4].

المصطفى ﷺ يمازح صهيب الرومي :

وعن عبد الحميد بن صيفي من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال : قدمت على رسول الله ﷺ بالهجرة وهو يأكل تمراً فأقبلت آكل من التمر وبعيني رمد فقال : أتأكل التمر وبك رمد ؟ فقلت : إنما آكل على شقي الصحيح ليس به رمد قال : فضحك رسول الله ﷺ» .[5]

المصطفى ﷺ يمازح عوف بن مالك :

ولما علم عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ لا يأنف من المزاح ، ولا يغضب منه ، بدأ رسول الله بالمزاح . يقول عوف : أتيت رسول الله ﷺ في

---

(١) متفق عليه . رواه البخاري في الصلاة (٤٤١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩) .

(٢) مَكِّني من القصاص .

(٣) ما بين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سبق تخريجه .

غزوة تبوك وهو في قُبة من أُدم ، فسلمت فردّ وقال : «ادخل» . فقلت : أكلّي يا رسول الله ؟ قال : «كلك» فدخلت .[1]

وإنما مزح عوف بن مالك بقوله : أكلّي يا رسول الله ؟ لأن القبة كانت صغيرة .

المصطفى ﷺ يمازح أبا الورد :

ولما رأى النبي رجلا ذا بشرة حمراء مازحه قائلا : أنت أبو الورد ، يقول أبو الورد قال : رآني رسول الله ﷺ ، فرآني رجلاً أحمر ، فقال :«أنت أبو الورد»[2].

المصطفى ﷺ يمازح سفينة :

وهذا سفينة مولى رسول الله يمازحه النبي ويكنية بسفينة ، فتكون أحب إليه من اسمه ، ولما سأله سعيد بن جمهان : ما اسمك ؟ قال : ما أنا بمخبرك . سماني رسول الله ﷺ سفينة . قال سعيد بن جمهان : ولِمَ سماك سفينة ؟ قال : خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم فقال لي : ابسط كساءك . فبسطته ، فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه عليَّ ، فقال لي رسول الله ﷺ : احمل فإنما أنت سفينة فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل عليّ إلا أن يجفوا .[3]

المصطفى ﷺ يمازح الأعراب :

وكما يداعب أهل الحضر ويمازحهم ؛ داعب أهل البادية ومازحهم .

المصطفى ﷺ يمازح زاهراً :

ومنهم رجل اسمه زاهر ، يقول أنس ﷺ : إن رجلاً من أهل البادية يقال له زاهر ابن حرام ؛ كان يهدي إلى النبي ﷺ الهدية فيجهزه رسول الله ﷺ إن أراد أن يخرج ، فقال رسول الله ﷺ : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه ، قال : فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره ، فقال أرسلني ، من هذا ؟

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٠٠) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٨١)

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٨٢) وقال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني ، وفيه جبارة بن المغلس وثقه ابن نمير ونسبه غير واحد إلى الكذب(٨/ ٥٦) .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢١٩٢٨) وقال محققو المسند : حديث حسن .

فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره بصدره ، فقال رسول الله ﷺ : من يشتري هذا العبد ؟ فقال زاهر : تجدني يا رسول الله كاسداً ، قال : لكنك عند الله لست بكاسد ، أو قال ﷺ بل أنت عند الله غال»[1].

المصطفى ﷺ يمازح طالب الناقة :

ويأتيه أعرابي يطلب منه ناقة كما يحكي أنس ﷺ : أن رجلا استحمل[2] رسول الله ﷺ فقال : إني حاملك على ولد الناقة ، قال : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟»[3].

المصطفى ﷺ يمازح النساء :

وكما رأيناه ﷺ يمازح الرجال رأيناه يمازح النساء ، وهذا من باب اهتمامه بهن ، ورفقه بهن ﷺ .

المصطفى ﷺ يمازح عائشة :

انظر إليه ﷺ وهو يلاطف عائشة ﷺ ويمازحها ، وهو يسابقها مرتين فتسبقه في الأولى ويسبقها في الثانية ، فيقول لها : هذه بتلك والحديث عن عائشة قالت : خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت ؛ خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال : تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول : هذه بتلك»[4].

---

(١) رواه ابن حبان (٥٧٩٠) وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وصححه الألباني في الشمائل المحمدية (٢٠٤) .

(٢) أي طلب من النبي أن يحمله .

(٣) رواه أحمد (١٣٨١٧) وقال محققو المسند : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير خلف بن الوليد ـ وهو أبو الوليد العتكي ـ وهو ثقة ، ورواه الترمذي (١٩٩١) وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود (٤٩٩٨) وصححه الألباني في "الشمائل المحمدية" (٢٠٢) وصححه في صحيح أبي داود (٤١٨٠) .

(٤) رواه أحمد (٢٤١١٨) وقال محققو المسند : إسناده صحيح ، ورواه أبو داود (٢٥٧٨) وابن ماجه (٢٠١٠) عن عائشة وصححه الألباني في "إرواء الغليل" (١٥٠٢) .

وانظر إليه وهو يمكنها لتنظر إلى أهل الحبشة يلعبون بحرابهم ، فعن عائشة ﵂ قالت : والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين كتفه اليسرى وعينيه ، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو »[1].

وانظر إليه ﷺ وهو يسمع من السيدة عائشة ﵂ حديث أم زرع الطويل والحديث كما جاء عند البخاري :

عن عائشة ﵂ قالت : جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن[2] وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ، قالت الأولى : زوجي لحم جمل غث[3] على رأس جبل[4] ، لا سهل[5] فيرتقى[6] ، ولا سمين فينتقل[7]، قالت الثانية : زوجي لا أبث[8] خبره ، إني أخاف أن لا أذره[9]، إن أذكره ، أذكر عجره[10]، وبجره[11]، قالت الثالثة : زوجي العشنق[12] إن أنطق أطلق[13] وإن أسكت أعلق ، قالت

---

(١) متفق عليه . رواه البخاري في العيدين (٤٩٣٨) ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢) .

(٢) أي ألزمن أنفسهن عهداً وتعاقدن على الصدق .

(٣) هزيل يستكره .

(٤) أي كثير الضجر شديد الغلظة يصعب الرقي إليه كالجبل .

(٥) شبهت شيئين بشيئين : شبهت زوجها باللحم الغث ، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر ، ثم فسرت ما أجملت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلاً ، لأن الشيء المزهود فيه قد يؤخذ إذا وجد بغير نصب ، ولا اللحم سمين فيتحمل المشقة في صعود الجبل من أجل تحصيله .

(٦) وصف للجبل : أي لا سهل فيرتقى إليه .

(٧) وصف للحم : أي أنه لهزاله لا يرغب أحد فيه فينتقل إليه أي أن زوجها شديد البخل ، ميؤوس الحال .

(٨) أي لا أظهر حديثه الذي لا خير فيه .

(٩) أي أخاف ألا أترك من خبره شيئاً ، فلطوله ولكثرته أكتفي بالإشارة إلى معايبه خشية أن يطول الخطب من طولها .

(١٠) تعقد العروق والعصب في الجسد .

(١١) والبجر مثلها إلا أنها كون مختصة بالتي تكون في البطن .

(١٢) المذموم الطول .

(١٣) أي إن ذكرت عيوبه وبلغه ذلك طلقني ، وإن أسكت عنها فأنا عنده معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة ، مع أنها متعلقة به وتحبه مع سوء خلقه .

الرابعة : زوجي كليل تهامة[1] ، لا حر ، ولا قر ، ولا مخافة ، ولا سآمة ، قالت الخامسة : زوجي إن دخل فهد[2]، وإن خرج أسد[3] ، ولا يسأل عما عهد[4] ، قالت السادسة : زوجي إن أكل لف[5] ، وإن شرب اشتف[6] ، وإن اضطجع التف[7] ، ولا يولج الكف ليعلم البث[8]، قالت السابعة : زوجي غياياء ، أو عياباء[9] ، طباقاء كل داء له داء [10] ، شجك[11] ، أو فلك[12] ، أو جمع كلا لك[13] ، قالت الثامنة : زوجي المس مس[14] أرنب ، والريح ريح زرنب[15] ، قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد[16] ، طويل النجاد[17] ، عظيم الرماد[18] ، قريب البيت من الناد[19] ، قالت العاشرة : زوجي مالك وما مالك ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك[20] ، قليلات المسارح[21] ، وإذا سمعن صوت المزهر[22] ، أيقن

---

(١) بلاد حارة ليس فيها رياح باردة .
(٢) شبيه بالفهد يوصف بقلة الشر وكثرة النوم والغفلة في البيت .
(٣) أي يصير بين الناس مثل الأسد .
(٤) أي شديد الكرم .
(٥) أي عنده نهم وشره .
(٦) أي عدم إبقاء على شيء من المشروب .
(٧) أي بكسائه وحده وانقبض عن أهله .
(٨) أي الحزن ، أي أنه لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من حزن .
(٩) الذي لا يضرب ولا يلقح من الإبل ، فهي تصفه بأنه عاجز عن النساء .
(١٠) كل داء تفرق في الناس فهو فيه .
(١١) جرحك في رأسك .
(١٢) جرح جسدك .
(١٣) ضروب للنساء ، فإذا ضرب إما أن يكسر عظماً أو يشج رأساً أو يجمعهما .
(١٤) ناعم الجلد مثل الأرنب .
(١٥) نبت طيب الريح .
(١٦) وصفته بعلو بيته وطوله .
(١٧) حمالة السيف ، أي أنه شجاع .
(١٨) كناية عن الكرم .
(١٩) وضع بيته بين الناس ليسهل لقاؤه .
(٢٠) جمع مبرك وهو موضع نزول الإبل .
(٢١) المكان الذي تطلق لترعى فيه ، أي أنها لا تخرج للمرعى كثيراً استعداداً لنحرها للضيوف .
(٢٢) آلة من آلات الطرب .

أنهن هوالك[1]، قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع[2] فما أبو زرع ؟ أناس[3] من حلي أذني[4]، وملأ من شحم عضدي[5]، وبجحني فبجحت[6] إلى نفسي ، وجدني في أهل غنيمة بشق[7]، فجعلني في أهل صهيل[8] ، وأطيط[9] ، ودائس[10] ، ومنق[11]، فعنده أقول فلا أقبح[12]، أرقد فأتصبح[13]، وأشرب فأتقمح[14]، أم أبي زرع ، فما أم أبي زرع ؟ عكومها[15] رداح ، وبيتها فساح[16] ، ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع ؟ مضجعه كمسل[17] شطبة ، ويشبعه ذراع الجفرة[18]، بنت أبي زرع ، فما بنت أبي زرع ؟ طوع أبيها ، وطوع أمها[19] ، وملء كسائها[20] ، وغيظ جارتها[21] ، جارية أبي زرع ، فما جارية أبي زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثيثا[22]،

---

(١) إذا سمعت الصوت أيقنت أنها ستذبح للضيوف .

(٢) أي شأنه عظيم .

(٣) أي حرك وأثقل .

(٤) ملاء أذنيها من أقراط الذهب والؤلؤ .

(٥) كثرت نعمته عليها حتى سمنت .

(٦) أي أنه فرحها ففرحت .

(٧) أي بشظف وجهد .

(٨) خيل .

(٩) إبل .

(١٠) أي عندهم طعام منتقى المداس في بيدرة لتميز الحب من السنبل .

(١١) الآلة التي تميز الحب وتنقيه .

(١٢) لا يرد لها قولاً .

(١٣) أي تنام الصبحة ، أي لديها من يكفيها مؤنة بيتها .

(١٤) الشرب على مهل حتى ترتوي .

(١٥) حقيبة .

(١٦) واسع .

(١٧) سيف سل من غمده .

(١٨) الأنثى من ولد المعز .

(١٩) أي بارة بها .

(٢٠) كناية عن نعمة جسمها وكمال شخصها .

(٢١) أي تغيظ جارتها لما ترى من نعم وخير .

(٢٢) لا تفشي سراً .

ولا تنقث ميراتنا تنقيثا[1] ، ولا تملأ بيتنا تقشيشا[2] ، قالت : خرج أبو زرع والأوطاب[3] تمخض[4] ، فلقى[5] امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين[6] ، فطلقني ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سريا[7] ، ركب شريا[8] وأخذ خطيا[9] ، وأراح[10] علي نعما ثريا[11] ، وأعطاني من كل رائحة زوجا[12] ، وقال : كلي أم زرع وميري[13] أهلك ، قالت : فلو جمعت كل شيء أعطانيه ، ما بلغ أصغر آنية[14] أبي زرع ، قالت عائشة ، قال رسول ﷺ : كنت لك كأبي زرع لأم زرع» متفق عليه . وفي رواية بزيادة : إلا أنه طلقها وإني لا أطلقك . وفي رواية النسائي : قالت عائشة يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع»[15] .

المصطفى ﷺ يمازح عجوزا :

ومن مداعبته ﷺ مع النساء ، ما حكت عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار ، فقالت : يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة ، فقال نبي الله ﷺ : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فذهب نبي الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت

---

(١) تحسن صنع الطعام ، ولا تسرقه .

(٢) مهتمة بتنظيف البيت وتنظيمه .

(٣) جمع وطب وهو وعاء اللبن .

(٤) إخراج الزبد من اللبن .

(٥) سبب رؤية أبي زرع للمرأة أنها تعبت من مخض اللبن فاستلقت تستريح فرآها على هذه الحالة ، وسبب رغبته في نكاحها أنهم كانوا يحبون المرأة المنجبة .

(٦) أي ثدييها .

(٧) أي من سراة الناس ، شريفاً .

(٨) فرساً عظيماً .

(٩) الرمح .

(١٠) أي غزا فغنم وأتى نعماً كثيرة .

(١١) كثيرة .

(١٢) أعطاها من كل شيء يذبح زوجاً أي اثنين ، أي لكثرة ما أعطاها .

(١٣) أي صلي أهلك واسعي عليهم بالطعام .

(١٤) التي كان يطبخ فيها عند أبي زرع .

(١٥) متفق عليه . رواه البخاري في النكاح (٥١٨٩) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨) .

عائشة : لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة . فقال نبي الله ﷺ : إن ذلك كذلك ؛ إن الله إذا أدخلهن الجنة حوّلهن أبكاراً»[1] .[2]

المصطفى ﷺ يمازح من تدعوه :

وتأتيه أخرى فتقول : يا رسول الله إن زوجي يدعوك ، فيقول : ومن هو ؟ أهو الذي بعينه بياض؟ قالت : والله ما بعينه بياض . فقال ﷺ : بلى إن بعينه بياضاً فقالت : لا والله ، فقال ما من أحد إلا بعينه بياض»[3].

المصطفى ﷺ يمازح الأطفال :

وما كانت مداعبته ﷺ و لا مزاحه للكبار دون الصغار ، إنما هو للصغير كما هو للكبير ، وللنساء كما هو للرجال .

المصطفى ﷺ يمازح أنس بن مالك وأخاه أبا عمير :

يقول أنس ﷺ : إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير»[4].

ويداعب أنساً ﷺ ويقول له : « يا ذا الأذنين»[5].

ويرسل النبي ﷺ أنساً ﷺ يوماً ؛ ولنترك أنساً ﷺ يقص علينا الخبر : يقول أنس ﷺ : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا فأرسلني يوما لحاجة فقلت :

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٥٧) وذكره الألباني في غاية المرام (٣٧٥) .

(٢) لطيفة : سألت شيخنا القرضاوي ، وقلت له أليس في هذا ترويع منه ﷺ لهؤلاء النسوة ؟ فأجابني قائلا : لم يكن مقصود النبي الترويع ، وما حدث من هؤلاء النسوة أقرب ما يكون إلى الدهشة لا إلى الترويع . وأضيف قائلا(أكرم) : وفيه كذلك إعمال للعقل ، بيد أن المرأتين لم تفطنا لمقصد رسول الله ﷺ .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا . وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : أخرجه الزبير بن بكار في كتاب"الفكاهة"ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم مع اختلاف .

(٤) رواه البخاري في الأدب (٦١٢٩) ومسلم في الآداب (٣١٥٠) .

(٥) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٩٢) وقال : صحيح غريب ، وأبو داود في الأدب (٥٠٠٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٠٩) .

والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق ؛ فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي . قال : فنظرت إليه وهو يضحك . فقال : يا أنيس ذهبت حيث أمرتك ، قال : قلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله ﷺ »[1].

المصطفى ﷺ يمازح الحسن والحسين :

ويُخرج لسانه للحسن والحسين صغاراً مداعباً إياهما ﷺ .

ويطأ ظهره لولديه الحسن والحسين ليركبا ، ويدخل عليه أحد أصحابه فيقول : « نعم المركب ركبتما ، فيقول : ونعم الفارسان هما »[2].

وفي رواية : أنه ﷺ كان يرفع الحسن بن علي برجليه فيقول له : حُزُقَّة تَرَقَّ عين بَقَّة [3] »[4].

وفي رواية عند الطبراني : عن أبي هريرة قال : سمعت أذناي هاتان ، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعا ، حسنا أو حسينا ، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ ، وهو يقول : حُزُقَّة حُزُقَّة ارَقَّ عين بَقَّة ، فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله ﷺ ثم : قال له : افتح فاك ، قال : ثم قبله ، ثم قال : اللهم أحبه ، فإني أحبه .[5]

وتأمل حاله ﷺ وهو يرى الحسن يصارع الحسين ، فيجلس ويشاهد ويشجع ، عن جابر عن أبي جعفر قال : اصطرع الحسن والحسين ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣١٠) .

(٢) رواه الحاكم (١٧٠/٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بقوله : لا . وأخرجه أبو يعلى عن ابن عمر . وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، ورواه البزار بسند ضعيف . (١٨١/٩) .

(٣) الحزقة : المقارب الخطى ، والقصير الذي يقرب خطاه . وعين بَقَّة : أشار إلى البقة التي تطير ، ولا شيء أصغر من عينها لصغرها .

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٣٨٠/٦) وعبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (٧٨٧/٢) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٤٩/٣) . قال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه ، وبقية رجاله رجال الصحيح (١٧٦/٩) . وضعفه الألباني في ضعيف الأدب (٤٠) .

«هو حسين . فقالت فاطمة : كأنه أحب إليك ؟ قال : لا ولكن جبريل يقول هو حسين» .[1]

وفي رواية عند أبي يعلى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي رسول الله ﷺ ، فكان رسول الله ﷺ يقول : «هي حسن . فقالت فاطمة : يا رسول الله لم تقول هي حسن ؟ فقال : إن جبريل عليه السلام يقول : هي حسين».[2]

وفي رواية أخرى : «اصطرع الحسن والحسين رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : هي حسن . فقالت له فاطمة رضي الله عنها : يا رسول الله ، كأنه ـ يعني الحسن ـ أحب إليك من الحسين ، قال ﷺ : إن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعين الحسين ، وأنا أحب أن أعين الحسن رضي الله عنه».[3]

المصطفى ﷺ يمازح أم خالد :

وها هو ﷺ يطلب بنفسه فتاة من فتيات المدينة فيضاحكها ويمازحها ، يروي البخاري بسنده قال : أتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : «من ترون أن نكسو هذه . فسكت القوم ، فقال : (ائتوني بأم خالد) فأتي بها تحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها ، وقال : (أبلي وأخلقي) . وكان فيها علم أخضر أو أصفر ، فقال : يا أم خالد ، هذا سناه». وسناه بالحبشية حسن[4].

وفي رواية أخرى تقول أم خالد : أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر ، قال رسول الله ﷺ : (سنه سنه). قال عبد الله : وهي بالحبشية حسنة ، قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة ، فزبرني أبي ، قال رسول الله ﷺ : (دعها). ثم قال

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٠٨) .

(٢) رواه أبو يعلى (١/ ١٧١) .

(٣) رواه الحارث في زوائد الهيثمي (٢/ ٩١٠) وذكر ابن حجر في المطالب العالية أنه مرسل (٤/ ٢٦٠).

(٤) رواه البخاري في اللباس (٥٨٢٣) عن أم خالد .

رسول الله ﷺ : أبلي وأخلقي ، ثم أبلي وأخلقي ، ثم أبلي وأخلقي . قال عبد الله : فبقيت حتى ذكر[1](أي عمرت).

المصطفى ﷺ يمازح زينب بنت أم سلمة :

وكان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول لها : يا زوينب ! يا زوينب ! مرارا.[2]

المصطفى ﷺ يمازح أولاد العباس :

وهذا عبد الله بن الحارث يقص علينا مشهدا عجيبا فيقول : كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس ثم يقول : «من سبق إليّ فله كذا وكذا» قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم [3].

المصطفى ﷺ يمازح يتيمة عند أم سلمة :

وها هو ﷺ يمازح يتيمة كانت عند أم سلمة ، لكنها لا تفهم مقصوده ﷺ فتحزن ، يقول أنس : كانت عند أم سليم يتيمة ، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة ، فقال : أنت هيه لقد كبرت لا كبر سنك ، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي فقالت أم سليم : ما لك يا بنية ؟ قالت الجارية : دعا علي نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني ، فالآن لا يكبر سني أبدا . أو قالت : قرني ، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ : ما لك يا أم سليم ؟ فقالت : يا نبي الله أدعوت على يتيمتي ؟ قال : وما ذاك يا أم سليم ؟ قالت : زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها . قال : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي على ربي ؛ إني اشترطت على ربي فقلت : إنما

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٧١) عن أم خالد .

(٢) رواه الضياء المقدسي في المختارة عن أنس بن مالك، وذكره الألباني في صحيح الجامع(٥٠٢٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٨٣٦) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف وقال الهيثمي : رواه أحمد وفيه يزيد بن أبي زياد وفيه ضعف لين ، وقال أبو داود : لا أعلم أحداً ترك حديثه وغيره أحب إلي منه ، وروى له مسلم مقروناً والبخاري تعليقاً ، وبقية رجاله ثقات (٩/ ١٧) .

أنا بشر ، أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر ، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل ؛ أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة [1].

المصطفى ﷺ يمازح زيد بن ثابت :

وانظر إليه ﷺ وهو يداعب زيد بن ثابت حين نام عن سلاحه ، فأخذ يقول له : « يا أبا رقد». عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال : قال زيد بن ثابت : كانت وقعة بعاث ، وأنا ابن ست سنين ، وكانت قبل هجرة رسول الله ﷺ بخمس سنين . فقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وأنا ابن إحدى عشرة سنة ، وأتي بي إلى رسول ﷺ فقالوا : غلام من الخزرج ، قد قرأ ست عشرة سورة . فلم أجز في بدر ، ولا أحد ، وأجزت في الخندق . قال ابن عمر : وكان زيد ابن ثابت يكتب الكتابين جميعا : كتاب العربية ، وكتاب العبرانية ، وأول مشهد شهده زيد بن ثابت مع رسول الله ﷺ الخندق ، وهو ابن خمسة عشر سنة ، وكان فيمن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين . فقال رسول الله ﷺ : « أما إنه نعم الغلام». وغلبته عيناه يومئذ فرقد ، فجاء عمارة بن حزم ، فأخذ سلاحه وهو لا يشعر . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا رقاد ، نمت حتى ذهب سلاحك». ثم قال رسول الله ﷺ : « من له علم بسلاح هذا الغلام ؟». قال عمارة بن حزم : أنا يا رسول الله ، أخذته . فرده ، فنهى رسول الله ﷺ أن يروع المؤمن ، وأن يؤخذ متاعه لاعبا وجدا .[2]

إن العبادة الدائمة أو الذكر المتواصل ، أمل تهفو إليه النفوس الكبار ، وتحوم حوله همم العظام ، بيد أن النفس البشرية جبلت على الملل إن استمرت على أمر ثابت أو عمل متواصل ، حتى ولو كان عبادة الله عز وجل ، وفي الحديث : « خذوا من العمل ما تطيقون ؛ فإن الله لا يمل حتى[3] تملوا»[4].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٠٣) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧٦) وسكت عنه ، وكذلك الذهبي ، وقال ابن حجر في (نصب الراية) : وفي إسناده الواقدي (٤/٢٢٢) .

(٣) حتى هنا بمعنى الواو أي (وتملوا) .

(٤) رواه البخاري في الصوم (١٩٧٠) ورواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٨٥) .

والمتأمل للأحاديث السابقة والمواقف المتقدمة ؛ يدرك هدي النبي ﷺ في المداعبة والمزاح والترويح عن النفس حتى لا تمل ، وقد بينها النبي ﷺ صراحة للصديق ﷺ ؛ حين دخل الصديق يوم العيد فوجد جاريتين تغنيان في بيت النبي ﷺ فانتهرهما . فقال ﷺ : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام العيد».[1] وفي رواية «حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة»[2].

والذي يظهر من هذا كله : أن المزاح ليس محرماً شرعاً ، ولا ممنوعاً عرفاً ، وكذلك الضحك ؛ إنما الممنوع الإكثار ، الذي تضيع معه الحقوق ، ويُخرج به من الصدق إلى الكذب ، ولله در أنس حين وصف النبي ﷺ فقال : «كان رسول الله من أفكه الناس»[3]. ولذا قال ﷺ : «لا تكثر من الضحك» فقد منع من الإكثار ، ولم يمنع أصل الضحك ؛ بل هو في حديث أبي ذر المتقدم قال : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» ؛ فهو ﷺ لم يمنع الضحك ، إنما دعا إلى التقليل منه .

---

(١) رواه البخاري في العيدين (٩٤٩) ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢) .

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٥٥) عن عائشة ، وقال محققو المسند : حديث قوي وهذا سند حسن .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٣/٦) وفي الصغير (١١٢/٢) من حديث أنس بن مالك ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٨٨) .